سقوط الدولة الرستمية على أيدي الشيعة الفاطميين سنة 296هـ/777م، إيذانا بانتهاء حكم الرستميين في لمغرب الاوسط الذي استمر ما يزيد عن مائة و ثلاثين سنة، لكن سقوط الحكم الرستمي لم يؤدي إلى القضاء على النفوذ الإباضي في بلاد المغرب، إذ شكلت ورجلان و سدراتة مدينتين هامتين لتجمع الإباضية بعد سقوط الدولة الرستمية، حيث تمكن أهل الدعوة فيهما من الحفاظ على استقلالهم مدة طويلة من الزمن عن سلطة الفاطميين و أصبحت الرابطة المذهبية و الثقافية هي الرابط الوحيد بين التجمعات الإباضية هناك. و رغم أن الإباضية الرستميون قد حظيوا بدراسات عديدة في المشرق و المغرب1 عند تأسيس دولتهم في المغرب الأوسط. و منها اختيارهم للصحراء كمكان لاستقرارهم و التي ستصبح أحد معاقلهم الرئيسية في مواجهة الحكم الشيعي الفاطمي في بلاد المغرب. و هنا يجدر بنا طرح إشكالية مهمة، و هي لماذا اتخذ الإباضية الصحراء معقلا رئيسيا لنشاطهم بعد سقوط دولتهم في تيهرت رغم أنهم كانوا يسيطرون على رقعة جغرافية واسعة في بقية مناطق المغرب الأوسط؟ و تندرج تحت هذه الإشكالية تساؤلات ذات دلالة، لعبت الصحراء في تاريخ المغرب الأوسط الوسيط دورا هاما في استقرار التجمعات البشرية فقامت بها مراكز حضارية و عمرانية هامة من أبرزها ورجلان، و سدراتة، فبعد سقوط الدولة الرستمية في المغرب الأوسط توجو يعقوب بن أفلح إلى ورجلان و معو عدد كبير من العائلات الرستمية، رافضا طلب الشيخ أبو صالح و قال قولتو المشهورة "لا يستر الجمل بالغنم" 3 و بقي في ورجلان حتى توفي هناك سنة 310هـ /922م و صار قبره مزار الإباضية هناك. إذ وجهوا جيشا كبيرا إلى صحراء ورجلان للسيطرة عليها، و لم يستطع الجيش الفاطمي اقتحام الحصن فأثروا الانسحاب و بقيت ورجلان معقلا للمقاومة الإباضية ضد الفاطميين. إلا عن اندلاع مواجهات بينهم وبين الإباضية. و قد احتفظ أبو سالم عبد الله بم محمد بن أبي بكر العياشي) 1037-1090هـ/1627-1379م(بوصف لمسجد من مساجد الإباضية بورجلان قائلا " فأعجبني غاية، فلما دخل المؤذن كبر في آذانو أربعا أول الآذان، و أربعا آخره، و لما دخل الناس للصلاة ابتدروا زوايا المسجد يتيممون و قلت عجبا بؤلاء من ذوي الأعذار فوقع في نفسي أنهم مزابة روافض. " 7و على بعد أربعة عشر كليومترا من ورجلان أخذ الإباضية في تخطيط عاصمتهم الجديدة سدارتة المعروفة عند الأمازيغ ب"أسدرتن" الذي أنشأ فيها الإباضية حضارة كبيرة و بنوا فيها قصورا عظيمة، و بعد ذلك استقر الإباضيون في الواد المسمى عندهم آغلان أو كما هو معروف اليوم عند الجميع بوادي ميزاب حيث أسسوا هناك حياة حضرية في و إمليشت و تجنينت)العطف(و آث بنورة و آث يزكن و تاغردايت و أحيوا) Ksars(المدن الخمس التي شيدوها و تسمى قصور فيها الأرض الموات، و حولوها إلى بساتين، و لعل أهم ما برع فيو الإباضيون في هذه المناطق الصحراوية من المغرب الأوسط هو التجارة حيث تحولت مدنهم الخمس التي ذكرناها آنفا إلى مراكز تجارية نشيطة عامرة تتوفر على جميع السلع. بعد محاولة فاشلة في الاستلاء عليها من جانب عبيد و قد وقع اختيار الإباضية على ورجلان كمجال لاستقرارهم للاعتبارات التالية: حيث كانت مركزا تجاريا مهما يقع في بداية الطريق التجاري الأوسط، ● تطرف الواحة في أقاصي الصحراء، فهي في مأمن من غارات الفاطميين، فلا غرو أن يكون الإباضية قد اختاروها للاستقرار، و رجعوا أدراجهم، 10 ● دور ورجلان العلمي حيث أصبحت وريثة تيهرت الرستمية في المغرب الأوسط، و هو ما شجع الإباضية للتوجو إليها لمواصلة الحركة العلمية التي بدأت في تيهرت، خاصة و نحن نعلم مدى حرص الإباضية على العلم بداية من مؤسسي دولتهم عبد الرحمن بن رستم إلى يعقوب بن أفلح الذي حاول في ورجلان تجديد سيرة الائمة الاوائل حيث اشتهر بالعلم و التقوى و كان حافظا للقرآن الكريم مجيدا لو، رد عليهم قائلا:" معاد الله ينزل على موسى و عيسى ما لم أحفظ و أعرف معناه، "11 . 2-الإباضية في وادي ميزاب بصحراء المغرب الأوسط: و إنما لجأوا كذلك للاستقرار في وادي ميزاب و ذلك بعد اجتماعهم بأريغ سنة 421هـ للنظر في مسائل الإباضية الرستميين بعد أن غص أريغ بهم. فوقع اختيارهم على وادي ميزاب، إلا أنهم وجدوه أهلا بالكثير من المعتزلة، فرجع الرأي إلى مؤتمر أريغ، و اتفق فيو على النزوح إلى هذا المكان أي وادي ميزاب و تعميره بما يصلح سكانو المعتزلة المزابيين من العلم و الألفة و حسن الجوار. فرجع الإمام المصلح هو و ابنو، في سنة 422هـ وصل بلدة العطف، و بدأ في دعوتو للمذهب الإباضي، ثم بدأت هجرة الرستميين الإباضيين إلى وادي ميزاب. و الواقع أن تفسير تحول الإباضية للاستقرار في وادي ميزاب بصحراء المغرب الأوسط راجع بالأساس إلى دور القبائل الهلالية في القضاء على المذهب الإباضي بالبلاد الواحية و الصحراوية و منها ورجلان 14. فقد ضايقت هذه القبائل معتنقي المذهب الإباضي و سيطرت على الكثير من أراضيهم، يوفر لهم الحماية و يجنبهم شر الغزوات الهلالية، و يبدو أن بني هلال عندما تحركوا نحو الواحات الصحراوية أبعدوا على كل نطاق حضاري، و قد عمد الإباضية في واد ميزاب إلى تنظيم أنفسهم فيما يعرف عندهم بالحلقة أو العزابة لتبادل الآراء و دراسة وجهات النظر 17، و قد عدد الورجلاني كل الشيوخ الإباضية)أئمة الكتمان(الذين أشرفوا على تدبير بعد انقراض الإمامة و حافظوا على الدعوة شؤون جماعاتهم إلى أن ظهرت الحلقة، لجأ الإباضية في معاقلهم بصحراء

Summarized by © lakhasly.com

المغرب الأوسط بورجلان و سدراتة، بذه اللفظة تستعمل لقبا لكل من لازم الطريق و طب العلم و سر أبل الخير و حافظ عليها و عمل فإن حسن جميع بذه الصفات سمي عزابيا. و من شيوخ الحلقة الذين ذكربم الدرجني أبي محمد بن عبد الله بن محمد اللنتي ،من أبل الطبقة الحادية عشر بتينزارين بورجلان

Summarized by © lakhasly.com